قال تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83).

✉ **يُذكِّرُ اللهُ سبحانه بني إسرائيل بالعهد المؤكَّد الذي أخَذه عليهم، وهو أن يعبدوه وحْدَه، وأن يُحسنوا إلى الوالدين، وإلى جميع مَن تربطهم بهم صِلةُ قرابة، وأن يُحسنوا كذلك إلى مَن فقَدوا آباءهم قبل أن يبلُغوا، وإلى الفقراء، وأن يُحسِنوا القول إلى كلِّ الناس، وأن يأتوا بالصَّلاة تامَّةَ الأركان والواجبات، ويُعطوا الزَّكاة المفروضة لمستحقِّيها، لكنَّهم نقَضوا هذا العهدَ الذي أخذ عليهم، وتولَّوا عنه بلا رَجعة، إلَّاعددًا قليلًا منهم قدْ أوفَوا بعهد الله تعالى. موسوعة التفسير**

وهذه الشرائع من أصول الدين، التي أمر الله بها في كل شريعة، لاشتمالها على المصالح العامة، في كل زمان ومكان، فلا يدخلها نسخ، كأصل الدين، ولهذا أمرنا بها في قوله: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) إلى آخر الآية.

فقوله: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أي: واذكر حين أخذنا على أسلافكم يا معشر اليهود الميثاق.

⇦**والميثاق هو: العهد المؤكد.**

اختلف في الميثاق، فقيل: هو الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجوا من صلب آدم كالذر، وقيل: هو ميثاق أخذ عليهم وهم أحياء على ألسنة رسلهم.

قال السعدي: قوله (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) هذا من قسوتهم أن كل أمر أمروا به، استعصوا؛ فلا يقبلونه إلا بالأيمان الغليظة، والعهود الموثقة.

(لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ) هذا أمر بعبادة الله وحده، ونهي عن الشرك به، وهذا أصل الدين، فلا تقبل الأعمال كلها إن لم يكن هذا أساسها، فهذا حق الله تعالى على عباده. السعدي

{اللَّهِ}: أي: المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة، الذي تعبده الخلائق، وتتأله له محبة وتعظيماً وخضوعاً له، وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، لما له من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال.

و "الله": اسم ربنا عزّ وجلّ؛ لا يسمى به غيره؛ ومعناه: المألوه، أي المعبود حباً، وتعظيماً.

(الله)⇦قال ابن القيم : فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هم وغم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه، فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات، وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسموات، وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والاشقياء" [انظر: فتح المجيد ص13]

و معرفة اسماء الله تعالى وصفاته تلم شعث القلب، وتفتح للعبد آفاق واسعة لتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والاعراض، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، وبحبه أقرب وعن معصيته ابعد، وفي رجاء رحمته اطلب.

⇦أي: أن يخلصوا في عبادة الله، فلا يعبدون ملكاً ولا رسولاً ولا حجراً.

⇦**ففيه النهي عن الشرك، فلا تقبل الأعمال كلها مع الشرك.**

⇦**وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به المرسلين -عليهم الصلاة والسلام-وهو أصل الأصول، وهو الحق الأعظم والأكبر، والمقدم على سائر الحقوق، وهو حق الله -تبارك وتعالى-أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا. خالد السبت**

والله أمر بهذا جميع خلقه:

كما قال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)36النحل.

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)25الأنبياء.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال (قلت يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك) متفق عليه.

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) (48) النساء

(الدَّوَاوِينُ عِنْدَ الله عز وجل ثَلَاثَةٌ: دِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا (تحت المشيئة)، وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ الله مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ).

وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها، وهو حق الله تبارك وتعالى.

ثم قال: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ذكر تعالى بعد حق الله حق المخلوقين، وآكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين، ولهذا يقرن الله بين حقه وحق الوالدين.

كما قال تعالى (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) (14)

وقال تعالى (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)23الإسراء.

وقال تعالى (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)151الانعام.

وقال تعالى (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)36النساء.

وعن عبد الله بن عمرو قال (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد) متفق عليه.

(جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قالَ: أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أبُوكَ) صحيح البخاري

⇦**كيفية الإحسان لهما**: بالقول والفعل:

في حياتهما: بالبر والطاعة والإكرام والتوقير والتواضع لهما.

بعد موتهما: الدعاء لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما.

⇦**وللإحسان ضدان**: الإساءة وهي أعظم جرماً، وترك الإحسان بدون إساءة، وهذا محرم، لكن لا يجب أن يلحق بالأول. (قاله السعدي).

⇦**هذا البر لا يختص بالأبوين المسلمين، بل ولو كانا على الشرك**.

وقال تعالى (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)15 لقمان

⇦**وهذا إبراهيم خليل الرحمن يخاطب أباه بلطف وإشفاق:**

قال تعالى (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) مريم.

⇦**وهذا يحي يثني عليه الله بوصفه براً بوالديه:**

قال تعالى (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا) (14) مريم.

⇦**وكذلك عيسى عليه السلام فيذكر الله في كتابه قوله:**

قال تعالى (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) مريم.

🗐**نماذج من سلف الأمة:**

✉**كان أبو هريرة** إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمِّه فقال: السلام عليك – يا أماه – ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك السلام – يا ولدي – ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحِمَك الله كما ربيتني صغيراً، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيراً.

✉**وعن الزهري قال : كان الحسن بن علي** لا يأكل مع أمه، وكان أبرَّ الناس بها، فقيل له في ذلك ، فقال : أخاف أن آكل معها، فتسبق عينها إلى شيء من الطعام وأنا لا أدري فآكله ، فأكون قد عققتها .

✉**قال ابن الجوزي**: بلغنا عن عمر بن ذر، أنه لما مات ابنه قيل له: كيف كان بره بك؟ قال: ما مشى معي نهاراً إلا كان خلفي، ولا ليلاً إلا كان أمامي، ولا رقد على سطح أنا تحته.

✉**وهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو إذا كان الله -تبارك وتعالى-يذكر حق الوالدين دائمًا بعد حقه، فهذا يُؤخذ منه أن الحق الأعظم بعد حق الله تعالى هو حق الوالدين، إذن لا يُقدم عليهما القرابات، ولا الأصدقاء، ولا الزملاء، ولا الجيران، ولا المعارف، وإنما الوالدان أولاً، هذا شعار. خالد السبت**

✉**وإن كمال البر والبر الحقيقي الأصيل هو الذي لا يحتاج معه إلى أمر ونهي وتصريح وزجر من قبل الأبوين، وإنما ينظر في محابهما ورغبتهما فيبادر إلى تحقيقها، ولا يحتاج إلى تصريح، ولا أمر، ولا يحتاج إلى أن يقال: لا تذهب، أو اذهب، أو افعل، أو لا تفعل، إنما ينظر ما الذي يحبان فعله، وما الذي يكرهانه لا يفعله.خالد السبت**

(وَذِي الْقُرْبَى) أي: وأحسنوا إلى ذي القرابة ، سواء من قبل الأم أو من قبل الأب، والإحسان إليهم يكون بالقول والفعل، لكن الإحسان إلى الوالدين أعظم ، لأنهم أقرب القربى إليك .

(وَالْيَتَامَى) أي : وأحسنوا إلى اليتامى .

☜**واليتيم**: هو من مات أبوه وهو لم يبلغ.

وهناك اللطيم: وهو الذي فقد كلا الوالدين.

✉فقد أوصى الله باليتيم:

وقال تعالى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) (9) الضحى .

✉وحذر الله من أكل مال اليتامى:

فقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10)النساء

✉وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن كافل اليتيم في الجنة:

فقال صلى الله عليه وسلم (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما) متفق عليه.

وقال ε (اللهم إني أحرّج حق الضعيفين اليتيم والمرأة) رواه النسائي ، أي : ألحق الحرج وهو الإثم بمن ضيع حقهما ، وأحذّر من ذلك تحذيراً بليغاً .

(وَالْمَسَاكِينِ) أي : وأحسنوا إلى المساكين ، والمساكين جمع مسكين ، وهو من لا يجد تمام كفايته ، سموا بذلك ، لأن الفقر أذله وأسكنه.

✍وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من الفقر والجوع، فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول (اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع) رواه أبو داود.

وفي حديث أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول دبر كل صلاة (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر). رواه النسائي

✋ثم أمر بالإحسان إلى الناس عموما

فقال: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) أي: كلموهم كلاماً طيباً ولينوا لهم جانباً، ويدخل في ذلك أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب. السعدي

☜وأمر النبي -صلى الله عليه وسلم صحابي حبيب إليه، إنه معاذ بن جبل -رضي الله تعالى عنه بما يحب الله (اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ، وأتبِعِ السَّيِّئةَ الحسَنةَ تَمْحُهَا، وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حسَنٍ) صحيح الترغيب

✉**يقول الحسن البصري–رحمه الله-:" بأنه كف الأذى وبذل الندى، وطلاقة الوجه".**

ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول،

✉فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)46العنكبوت

✉فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً ووجهه منبسطاً طلقاً، لأن الله يقول لموسى وهارون قال تعالى (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) (44) طه.

وقال تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) 125النحل .

وقال تعالى (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) فصلت.

فضائل الكلمة الطيبة:

❶الكلمة الطيبة سبب لصلاح الأحوال وغفران الذنوب .

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)(71) الأحزاب.

❷وأمر الله بالكلمة الطيبة.

فقال تعالى (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ)83البقرة .

وقال سبحانه (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (53) الإسراء

❸الكلمة الطيبة سبب لرضوان الله .

عن بِلالِ بن لحارِثِ المُزَنِيِّ رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَال (إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إلَى يَومِ يَلْقَاه) رواه الترمذي .

❹والكلمة الطيبة سبب دخول الجنة .

عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا» فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَام) رواه الترمذي.

❺الكلمة الطيبة سبب للنجاة من النار.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم النَّارَ فَأَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ»، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» رواه البخاري ومسلم

❻والكلمة الطيبة انتصار على الشيطان.

وقال سبحانه (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (53) الإسراء

❼الكلمة الطيبة شعبة من شعب الإيمان .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ε (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» متفق عليه .

❽الكلمة الطيبة صدقة .

قال ع (وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَة) متفق عليه.

ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده ، أن يكون الإنسان نزيها في أقواله وأفعاله ، غير فاحش ولا بذيء ، ولا شاتم ، ولا مخاصم ، بل يكون حسن الخلق ، واسع الحلم ، مجاملا لكل أحد ، صبورا على ما يناله من أذى الخلق ، امتثالا لأمر الله ، ورجاء لثوابه .

قال الحسن البصري فالحُسْن من القول: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحلم، ويعفو ،ويصفح ،ويقول للناس حسناً كما قال الله ،وهو كل خُلُق حسن رضيه الله .

قال ابن كثير:وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسناً بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل ، فجمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي .

مثل هذه المخاطبات تدل على تربية عالية، وذوق رفيع، وتدل على عقل كامل، ومروءة تامة، فإن لسان المرء ينبئ عن مكنوناته وقلبه وعقله، فإذا نطق عُرف ما تحت هذا اللسان من عقل، فهذا اللسان يغترف من القلب، فالقلوب أوعية، والألسن مغاريف تغترف من هذا القلب، فيبدو على اللسان، ويظهر على صفحة الوجه ما يكون في مكنون الإنسان، فإذا تكلم عرف الناس عقله، وعرفوا تربيته، وعرفوا ما يتحلى به من الأخلاق، فأحبوه أو كرهوه، بل يعرفون صدقه من كذبه من خلال كلامه الذي يتكلم به. خالد السبت

(وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ) (وَآتُوا الزَّكَاةَ)

أي: وممَّا أُمِر به اليهودُ أيضًا: إقامةُ الصَّلاة، وإيتاء الزكاة، أي: ائتوا بالصَّلاة تامَّةً بحقوقها الواجبة عليكم فيها، وأعطوا الزكاةَ مستحقِّيها بما فرَض الله تعالى عليكم في أموالِكم.موسوعة التفسير

قال السعدي: ثم أمرهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، لما تقدم أن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة متضمنة للإحسان إلى العبيد.

قال السعدي رحمه الله لم يقل: يفعلون الصلاة، أو يأتون بالصلاة، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة فإقامة الصلاة، إقامتها ظاهرًا، بإتمام أركانها، وواجباتها، وشروطها، وإقامتها باطنًا بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها

وقد ذكرنا من قبل سبب الاقتران بين هاتين العبادتين العظيمتين: إن ذلك إنما هو بسبب أن الصلاة صلة بين العبد وربه، والزكاة صلة مع العباد، وإحسان إليهم، وسعادة العبد دائرة بين الأمرين، حسن الصلة بالله، والإحسان إلى الخلق.

(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) الخطاب لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم ، وأسند إليهم تولي أسلافهم إذ كلهم بتلك السبل في إعراضهم عن الحق مثلهم .

(إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ) كعبد الله بن سلام وأصحابه .

قال السعدي: هذا استثناء، لئلا يوهم أنهم تولوا كلهم، فأخبر أن قليلا منهم، عصمهم الله وثبتهم.

فيمكن أن يكون الاستثناء على ظاهره بمعنى أن بعضهم لم يحصل منهم هذا التولي، فيكون ذلك شاهدًا من شواهد الإنصاف، وترك التعميم في الأحكام حيث يصلح فيه ذلك. خالد السبت

(وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) عن الميثاق الذي أخذ عليكم .

فسر بعض العلماء التولي بالإعراض ، ومن ثَمّ قال : الفائدة من ذلك التكرار التأكيد كما قال تعالى (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ).

ومن من العلماء من قال : إن التولي يكون بالجسم ، والإعراض يكون بالقلب .

ومنهم من قال (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) خطاب لهم والمراد أسلافهم من آبائهم وأجدادهم الذين تولوا، وقوله (وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) انتقل الخطاب إلى المعاصرين للنبي ε من اليهود، والمعنى على ذلك : ثم تولى آباؤكم ، وأنتم كذلك معرضون .